المحفوظ لا يقع فيه تغيير وهو تغيير لا شك فيه ومما يدل للاشاعرة حديث الصحيح
عن ابن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان
احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة
مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات بكتب رزقه واجله
وعمله وشقي او سعيد فوالذي نفسي بيده ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم
ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل الجنة فيدخلها فان قلت اذا كانت السعادة والشقاوة عندكم ازليتين
فما معنى كتبهما حقيقة او مجازا عن تقديرهما في بطن الام مع ان التقدير ازلي قلت
الحاصل في البطن ظهور تعلقهما بالمحل للملك وذلك لانها في ازليتهما في شيخ الاسلام و البطن
ظرف للكتابة وروى ان الاربع تكتب على الجبهة وهي جامعة لجميع احوال العبد اذ فيها
بيان حال المبدا وهو خلقه ذكرا او انثى وحال المعاد وهو السعادة او الشقاوة وما
بينهما وهو الاجل وما يتصرف فيه وهو الرزق انتهى فائدة اختلف ان ما يخلق اولا في
ما يتشكل من اعضاء الجنين فقيل قلبه لانه الاساس وهو معدن الحركة الارادية
وقيل الدماغ لانه مجمع الحواس ومنه تتشعب وقيل الكبد لان منه النمو والاغتذاء المطلوب
حينئذ هو النمو اولا ولا حاجة حينئذ الى حس ولا حركة ارادية لانه حينئذ كالنبات
وانما يكون له قوة الحس والارادة عند تعلق النفس به فيقدم الكبد ثم القلب ثم
الدماغ وقيل غير هذا وذهب الماتريدية الى ان السعيد هو المسلم والشقي هو الكافر
وحينئذ يتصور ان السعيد قد يشقى بان يرتد بعد الايمان نعوذ بالله تعالى
وان الشقي قد يسعد بان يؤمن بعد الكفر نسال الله حسن الخاتمة وان الشقاوة
والسعادة تتغيران وتتبدلان ولا يتصور التغير في الاسعاد والاشقاء لانهما صفتا
تكوين اذ الاسعاد تكوين السعادة والاشقاء تكوين الشقاوة فتكونان قديمتين
قائمتين بذاته تعالى والتغير عليه تعالى وعلى صفاته الذاتية مستحيل والا لزم ان
يكون القديم محلا للحوادث وقد مر امتناعه وبعدم الكلام على التكوين محققا فان قلت
فهل النزاع بين الفريقين حقيقي قلت لا لان الاشعري لا يجعل ارتداد المسلم
الغير المعصوم والاسلام الكافر الغير المحكوم عليه بالكفر كما ان الماتريدي لا يجوز
على من علم ان موته على الكفر اسلامه عند الموافاة وحينئذ فالنزاع لفظي نعم
من فروع هذه المسئلة مسئلة الاستثناء في الايمان فعند الاشاعرة يصح ان يقول
انا مؤمن ان شاء الله تعالى بناء على ان العبرة في الايمان والكفر والسعادة والشقاوة
بالخاتمة حتى ان المؤمن السعيد من مات على الايمان وان كان طول عمره على الكفر
والعصيان والكافر الشقي من مات على الكفر نعوذ بالله وان كان طول عمره على

التصديق

١٦٧

التصديق والطاعة على ما اشير اليه بقوله تعالى في حق ابليس وكان من الكافرين
وعند الماتريدية لا يصح لان الاسلام حاصل الآن محقق لا نزاع فيه فلا معنى لتعليقه
بالمشيئة فان قلت فهل النزاع في هذا النوع حقيقي قلت لا اذ لا خلاف في
المعنى لانه ان اريد بالايمان والسعادة مجرد حصول المعنى فهو حاصل في الحال
وان اريد ما يترتب عليه النجاة والثمرات فهو في مشيئة الله تعالى ولا قطع
بحصوله في الحال فمن قطع بالحصول وهو الماتريدي اراد الاول ومن فوض
كالاشعري اراد الثاني كذا حرره السعد وهو عين قول الحسن البصري لما ساله
رجل اتقول انا مؤمن ان شاء الله ان اردت بالايمان ما تحل ذبيحتي وتجوز
معه مناكحتي فانا مؤمن حقا وان اردت ما يحكم لي به من النجاة من النار
ودخول الجنة فانا مؤمن ان شاء الله وتقدمت المسئلة بابسط من هذا في بحث
الايمان وبالله المستعان تتمة الكلام في ولي الله وعدو الله كالكلام في السعيد
والشقي سواء بسواء على ما يفهم من شرح المقاصد ولما تمسك من ذهب من المعتزلة
بنظرية خلق العبد لافعاله بوجوه يأتي ببسطها وكان عمدتهم الكبرى وعروتهم
الوثقى منها ان العبد لو لم يكن موجدا لافعاله وخالقا لها بالاستقلال لزم
فسادات منها بطلان المدح والذم عليها اذ لا معنى للمدح والذم على ما ليس بفعل
له ولا واقع بقدرته واختياره وان امكن منعه بانه ربما يمدح او يذم على ما هو
محل له كالحسن والقبح واعتدال القامة وافراط القصر ومنها بطلان التكاليف
من الاوامر والنواهي اذ لا معنى للامر بما لا يكون فعلا للمامور ولا يدخل تحت
قدرته بل بما لا يطيقه كمرض ونحوه حتى ان العقلاء يتعجبون منه وينسبون
الآمر الى الحمق والجنون بمنزلة من يطلب من الانسان خلق الحيوانات
والمكرات الى السماء بل من الجماد المشي على الارض والصعود في الهواء وكذا
الثواب والعقاب على ما هو بخلق المثيب والمعاقب حتى ان من يعاقب
على ما يخلقه كان اشد ضررا على العبد من الشيطان واحق منه بالذم اذ ليس
منه الا الوسوسة والتزيين ومنها بطلان قواعد الوعد والوعيد وارسال
الرسل وبعثة الانبياء وانزال الكتب من السماء اذ لا يظهر للترغيب والترهيب
والحث على تحصيل الكمالات وازالة الرذائل ونحو ذلك فائدة الا اذا كان لقدرة
العبد وارادته تاثير في افعاله ويتولى مباشرتها باستقلاله ومنها بطلان
الفرق بين الافعال التي تطابق العقل والشرع على استحسانها واستحقاقها
المدح في العاجل والثواب في الآجل والتي ليست كذلك كالكفر والايمان وكالاساءة
الى الفقراء والاحسان وكفعل النبي من الهداية والارشاد وتمهيد قواعد الخيرات
وفعل ابليس من الاضلال والاغواء وتزيين الشرور والشهوات وكالتكلم بالتسبيح

اذ لا ترجيح للثواب
والعقاب
ح